الإصلاح بين الناس

الحمد لله والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاه وبعد.

فالإنساني مدني بطبعه محتاج للتعاون مع بني جنسه ومخالطتهم. ولابد مع المخالطة من احتكاك يؤدي إلي الخصومة أحيانا. وحينئذ يجد الشيطان فرصته للكيد للإنسان « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » فينفخ في صدور المتخاصمين فيؤجج الخصومة فيتزايد شررها. قال ﷺ: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء. فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أحمد حـ٤ ص٢٢٦ ولا يقف الشيطان عند حد الإغراء بدفع الشر بمثله. بل يغري بمضاعفة الجزاء. وهوالفجور في الخصومة. وهي من صفات المنافقين.

والإنسان يحب الخير للناس جميعا مسلمهم وكافرهم ألا تراه يحرص في رفق علي إسلام غير المسلم ليسعد بالإسلام في دنياه وأخراه.

ومن الخير الذي يحبه الإسلام للناس جميعا الإصلاح بينهم وإزالة الخصومات حتي تسير الحياة بالناس هينة رضيه.

فالإسلام يحث علي الإصلاح بين الناس جميعهم أفراداً وجماعات. ومن الحث البالغ الغاية علي الإصلاح بين الناس تفضيل الإصلاح بين الناس علي الصيام والصلاة والصدقة.

روي الإمام أحمد بسنده عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟.

قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين. قال: وفساد ذات البين هي الحالقة » ورواه أبو داود والترمذي وقال الترمذي : حسن صحيح ومن الحث علي الإصلاح بين الناس جعله تجارة رابحة.

قال ﷺ لأبي أيوب: ألا أدلك علي تجارة؟ قال: بلي يا رسول الله قال: تسعي في إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا » رواه البزار بسنده عن أنس.

ويعد المولي عز وجل علي الإصلاح بين الناس بالأجر العظيم: « ومن أوفي بعهده من الله قال تعالي: ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو أصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** ﴾بل قد أمر الإسلام المسلمين.بأن يجند كل منهم نفسه للإصلاح بين المسلمين إذ دب بينهم الخصام كل في محيطه. وحسب طاقته قال تعالي: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ .

هذا ولكن الجماهير الفقيرة من المسلمين قد جهلت إسلامها واستسلمت لشياطينها فإذا دب الخصام بين اثنين رأيت من حولهم من جهلة المسلمين بإسلامهم يتخذون مواقف مختلفة لا تمت للإسلام بصلة. فإن موقف الإسلام واضح محدد هو طلب التدخل السريع من المحيطين بأطراف الخصومة للإصلاح بينهم. حفاظا علي الأخوة بين المسلمين جميعا. بل حفاظا علي الأخوة في الإنسانية بين المسلمين وغيرهم من تلك المواقف الكريهه التي يبغضها الإسلام وينهي عنها الوقوف من المتخاصمين موقف المتفرج الذي لا يعنيه منهما شيئا موقف سلبي ويفعل المسلم ذلك متأثرا بالثقافة الوافدة إليه من هنا وهناك وهي ثقافة لا تمت للإسلام بصلة.

فالإسلام قد جعل المسلمين أمة واحدة « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وجعل هذه الأمة كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمي.

قال ﷺ: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسم الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمي» رواه مسلم.

والساكت عن الحق في الإسلام شيطان أخرس. لأنه لم يتقدم للمساهمة في إطفاء نار الخصومة بالإصلاح بين المتخاصمين.

وهناك موقف يقفه الذين يجهلون هدي الإسلام وإن كانوا مثقفين بثقافات نافعة أخري بعيدة عن الدراسات الإسلاميه. ذلك الموقف هو التدخل الإيجابي لزيادة الخصومة بطرق مختلفة يجدون في ذلك ما يرضي نفوسهم المريضة ولسان حالهم يقول مقالة المفسدين « فرق بسد ».

وكل هذه المواقف قد نهى الإسلام عنها وحذر منها ودعا إلي نقيضها وهو الإصلاح بين الناس .

وما للإسلام لا يدعو للإصلاح بين الناس أفرادا و جماعات مسلمين وغير مسلمين وهو يريد الخير للناس جميعا وما الجهاد في الإسلام إلا لإصلاح حال الكافرين لا لإيذائهم.

وكم لقي المسلمون من آثار ضارة للخصومة بين الأفراد والجماعات. وخاصة الخصومة التي لا تجد من يتدخل للإصلاح وجمع الشمل قبل أن يتسع الخرق علي الراقع إن الكثير مما يشقي به الأفراد والجماعات إنما هو بسبب غيبة هذا الخلق الإسلامي الرفيع خلق الإصلاح بين الناس.

فكم تفرق شمل الكثير من الأسر بسبب خصومة بين الزوجين لم تجد من يتدخل للإصلاح بينهما فتم الطلاق وتشرد الأطفال.

والله تعالي يقول ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا** ﴾ فأمر بالإصلاح بين الزوجين وحث الحكمين علي إدارة الإصلاح ظاهرا وباطنا وجعل صدق نية الحكمين في الرغبة في الإصلاح سببا لنجاح مقصدهما وحصول الإصلاح.

وقد أباح الإسلام للمعاونة علي الصلح بين المتخاصمين التورية والتعريض كمن يقول لظالم دعوت لك أمس. وهو يريد قوله: اللهم أغفر للمسلمين بل ذهبت طائفة إلي جواز الكذب لقصد الإصلاح بين الناس. رواه الطبري.

عن أم كلثوم بنت عقبه أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيرا » رواه البخاري حـ٦ ص٢٢٨ فتح: «علما بأن علماء المسلمين قد اتفقوا علي جواز الكذب عند الاضطرار كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختف عنده فله أن ينفي كونه عنده ويحلف علي ذلك ولا يأثم » حـ٦ ص٢٢٨ فتح الباري.

وجعل الإسلام السعي للإصلاح بين الناس نوعا من الصدقة. قال ﷺ: « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس. يعدل بين الاثنين صدقه » رواه البخاري حـ٣ ص٢٤٥.

وقد أمر الإسلام المسلمين بالتدخل للإصلاح بين الفئات المتخاصمة من المسلمين. بل بقتال الفئة الباغية المعتدية الظالمة التي لا ترجع للحق ولا تقبل الصلح.

أما أن يقف المسلمون موقف المتفرج والدماء تسيل أنهارا بين فئتين عظيمتين من المسلمين فإن هذا شيء لا يرضاه الله ولا يرضاه رسوله ﷺ. بل ويتضرر منه وبه المسلمون جميعا فإنه في الجملة يعود ضرره علي المسلمين جميعا بإضعاف شوكتهم قال تعالي: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فإن بغت إحداهما علي الأخري فقاتلوا التي تبغي حتي تفئ إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين: إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾.

ولقد كان ﷺ سباقا إلي الإصلاح بين المسلمين إمتثالا لأمر الله وتعليما لأمته فما إن نزلت هذه الآيه وكان سبب نزلها خلاف أدي إلي خصام وعراك بين طائفتين من المؤمنين. كان بينهما مشركون أيضا وذلك في صدر الإسلام أقول: ما إن نزلت هذه الآية حتي سار سيدنا رسول الله ﷺ يصلح بين المتخاصمين حتي سكتوا. روى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي. فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخه فلما أتاه النبي ﷺ قال إليك عني. والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار منهم والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه. فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت: « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » حـ٦ ص٢٢٦ فتح الباري.

زاد في رواية غير البخاري: « فلم يزل النبى ﷺ يخفضهم حتي سكتوا » إن رسول الله ﷺ أشير عليه أن يذهب لزيارة عبد الله بن أبي. وكان لم يعلن إسلامه بعد تطيبا لخاطره وتوددا إليه فقوبل معروفه ﷺ لعبد الله بن أبى مقابلة سيئة تذهب بحلم الحليم غير أنه ﷺ قابل جفاء عبد الله بن أبي بما يليق به ﷺ من حلم حليم. ولكن من معه من صحابته قابلوا إساءة عبد الله بما يناسبها. حتي حدث ما حدث من شجار ونزل القرآن آمرا بالصلح فسارع سيدنا رسول الله ﷺ إلي الإصلاح.

ويروي البخاري في صحيحة أنه ﷺ دعا أصحابه للذهاب للإصلاح بين أهل

قباء عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن أهل قباء اقتتلوا حتي تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم هذا مع كثرة أعبائه ﷺ ولكن الإصلاح بين المسلمين واجب ديني بل من أهم الواجبات الدينيه. ألم يخبر ﷺ كما رويت عنه في صدر البحث أن إصلاح ذات البين أفضل من الصيام والصلاة والصدقة.

وإن كان يبدو لي أن المراد بذلك النافلة من كل فهو أفضل من صيام النفل وصلاة النافلة وصدقه التطوع أما صوم رمضان والصلوات الخمس والزكاة المفروضة فليست مقصودة هنا.

ويروي البخاري أيضا في صحيحة عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أناسا من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء. فخرج إليهم النبي ﷺ في أناس من أصحابه يصلح بينهم » حـ٣ ص٢٣٩.

ولقد كان لسيدنا الحسن بن مولانا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في ميدان الإصلاح بين الفئتين من المسلمين فضل يذكر فيشكر وهو في هذا الميدان قدوة حسنة فلقد أصلح بين الفئتين العظيمتين من المسلمين بتنازله عن الخلافه لسيدنا معاوية رضي الله عنهما مع أحقية مولانا الإمام الحسن للخلافة. ومزيد فضله فهو بضعه المصطفي ﷺ. والأشهر التي قضاها مولانا الإمام الحسن في الخلافة عدها علماء الأمة مكملة للخلافة النبويه التي قال فيها ﷺ: « الخلافه بعدي ثلاثون عاما ثم ملك بعد ذلك» رواه أحمد والترمذي. فكان خليفة صدق وكانت معه عند ملاقاة سيدنا معاوية كتائب مثل الجبال: قال عنها سيدنا عمرو بن العاص حين رآها « إني لأرى كتائب لا تُوَلِى حتي تقتل أقرانها كما رواه البخاري.

مع هذا كله الكتائب التي لا تولي حتي تقتل أقرانها وأحقيته في الخلافه . وشتان بين الخلافة والملك في الأحقيه فأصحاب الإمام يؤمنون بخلافته وأصحاب سيدنا معاوية يؤمنون بإمارته وأحقيته في المطالبة بدم عثمان فحسب.

مع هذا وغيرة يصلح مولانا الإمام الحسن رضي الله عنه بين فئتين عظيمتين من المسلمين بتنازله عن الخلافة لسيدنا معاوية مع معارضة أصحابه له في ذلك واستعدادهم الكامل لافتدائه رضي الله عنه بالنفس والنفيس.

روى البخارى بسنده عن أبى موسى قال سمعت الحسن يقول استقبل والله الحسن بن معاوية بكتائب أمثال الجبال: فقال عمرو بن العاص: إني لأري كتائب لا تولي حتي تقتل أقرانها فقال له معاوية: وكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس:عبد الرحمن بن سمرة.وعبد الله بن عابر بن كريز.

فقال: اذهبا إلي هذا الرجل. فاعرضا عليه وقولا له واطلبا منه فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له. وطلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال. وإن هذه الأمة قد عاشت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا.

قالا: نحن لك به. فما سألهما عن شيء إلا قالا: نحن لك به. فصالحه فقال الحسن ـ أي البصري راوي الحديث: ولقد سمعت أبا بكرة يقول:

رأيت رسول الله ﷺ علي المنبر. والحسن بن علي إلي جنبه. وهو يقبل علي الناس مرة وعليه أخري ويقول:« إن ابني هذا سيد. ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » صدق رسول الله ﷺ.

فقد حقق التاريخ ما قاله. وأصلح الله بموالانا الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وحقن به دماء الجم الغفير من المسلمين.

والصلح في الإسلام يتسع حتي يشمل الناس جميعا. فيشمل الصلح بين المسلمين والكافرين روي البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:

« صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبيه علي ثلاثة أشياء. علي أن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه. . . .الحديث.

ولقد أغضب الصلح بين المسلمين والمشركين الصحابة رضوان الله عليهم. خاصة لاشتماله علي الشرط السابق. وهو رد من جاء مسلما بعد الصلح. رده للمشركين غير

أن سيدنا رسولﷺ كـان علي ثقة من أمرة. وأكد القرآن أن سـيدنا رسول الله ﷺ كان يعمل بوحي السماء عندما أبرم الصلح لحقن الدمـاء من جهة وحتي يأمن الناس بعضهم بعضا من جهـة فيساعد هذا علي انتشار الإسلام والله تعـالي يقول مؤكدا لإبرام الصلح مع المشركين إن ارادوه يقول تعالي: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله ﴾.

والإسلام يحبـب في الصلح وإن أدي إلي التنازل عن بعض الحقوق . كمـا فعل مولانا الإمـام الحسن بن علي بن أبي طالب رضـي الله عنهما فـقد تنازل عن الخـلافة حقنا لدماء المسلمين وهذا هو هدي الإسلام.

روي البخـارى بسنده عن عـائشة رضي الله عنهـا قالت: سـمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتها. وإذا أحدهما يستوضع الآخر. ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل.

فخـرج عليهمـا رسول الله ﷺ فقـال: أين المتألي علي الله لا يفـعل المعروف؟ فقال: أنا يا رسول الله وله أي ذلك أحب حـ٣ ص٢٤٤.

فهـذا صحـابي يسأل صاحـبه التنازل به عن بعض حـقه لديه. والآخـر لا يقبل التنازل ورسول الله ﷺ يـبغض في هذا الصنيع ويحـبب في الصلح ولو مع التنازل عن بعض الحق ابتغاء وجه الله وطلبا لفعل المعروف.

فاحـرص أخي رحمك الله علي الإصـلاح بين الناس. امتـثالا لأمـر الله وطلبا لرضوانه وحفاظـا علي شيوع الخير بين الناس. وابدأ بنفسك فـانصف منها ينصفك الله من غيرك.

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.